د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

حليمة والصوت والصدى

بائع الموز

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن

حليمة والصوت والصدى - الرياض

٤١ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٣-١١٠-٤٠-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١ ٢٢/٤٨١٧

ردمك: ٣-١١٠-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/٤٨١٧

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة قرية قديمة

«صورة من حياة القرية

صدى:

يا ليلُ لا تفـــــرحْ فالفجرُ قد لاحا
ولسـانُه أفـصَحْ وفـؤادُه باحـا
اشـرحْ ولا تشـرحْ فالمسكُ قد فاحا
والركْبُ قـد أفلحْ والمتـعَبُ ارتاحـا

صوت:

كانت..
يدُ الفجرِ المطلِّ تهزُّ أعمدةَ الظلامْ
والليلُ يرحلُ..
لابساً ثوبَ الحِدادْ
والأفْقُ..
يغسلُ وجهَه بالنُّورِ من أثَرِ الرُّقادْ
ودروبُ قريتِنا تَفرُّ من الوجومْ
تصحو على خُطُواتِ فلاَّحٍ
وهَرْوَلَةِ القطيعْ

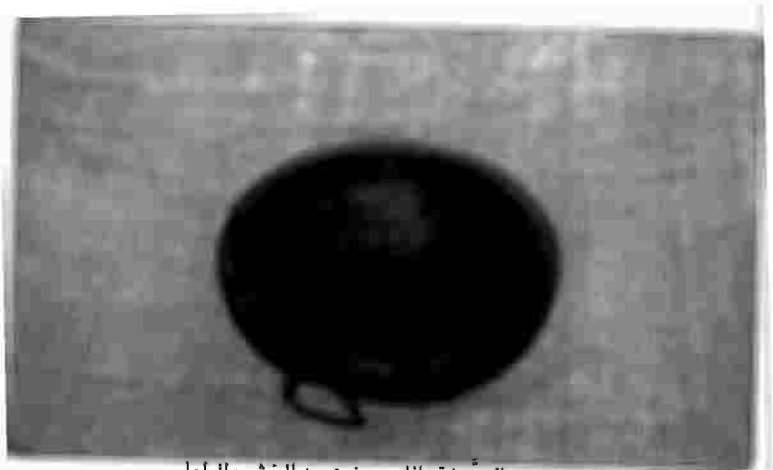

«الصَّحفة» إناء مصنوع من الخشب للطعام

ونداءِ راعية تصيحُ على الغنمْ
فيسيرُ بعضٌ قطيعها طَوْعاً وبعضٌ لا يُطيعْ
في بيتنا المبنيِّ من حَجَرٍ وطينْ
نصحو على صوتِ المؤذِّنِ في الصَّباحْ
يدعو عبادَ الله
«حيَّ على الفلاحْ»
«الله أكبرُ» يا نيامْ !
في حينها تهتزُّ قريتُنا وتربو
في حينها تهفو مشاعرُنا وتصبو
«الله أكبرُ» يا نيامْ
صوتٌ تردِّدُه الجبالْ
تُصْغي له آفاقُ قريتنا
وتنتفضُ التِّلالْ !
في بيتنا المبنيِّ من حَجَرٍ وطينْ
«قَبَسٌ» تُشَبُّ..
و «ملةٌ» يُخفي جوانبهَا الرّمادْ
من حولها «جَحْلٌ» و«منفَاخٌ» و«صَحْفَةْ»

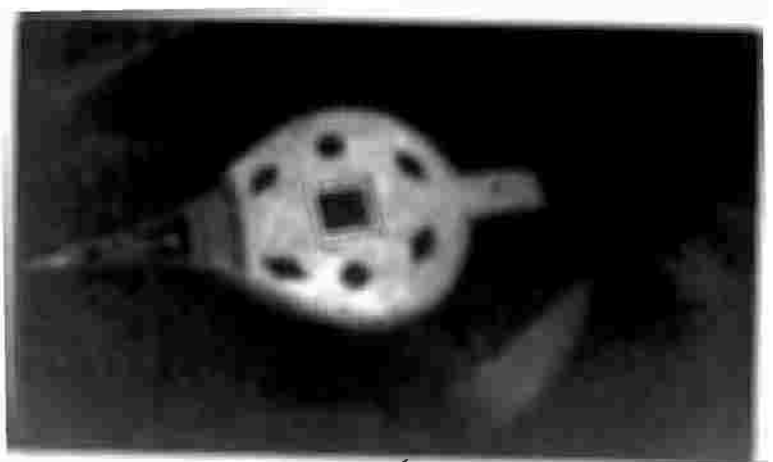

«منفاخ» تُنفخ به النار لإيقادها

وأمامها أمي تَشُبُّ النارَ
في يدِها عجينَهْ
والبيتُ تغمرُه السكينَهْ
يا لُقْمَةَ العيشِ الحلالْ
كم كان يغسلُها أبي بالسعي والعَرَقِ الغزيرْ
كم كان يمسحُها بمنديلٍ من الأملِ الكبيرْ
كم كان يُنْضِجُها على لَهَبٍ
من الألَم الوَقورْ
يا لقمةَ العيشِ الحلالْ
طعمُ الرَّمادِ وطعمُ ملَّتِنا العتيقهْ
شيءٌ يسوقُ لنا الخيالَ الرَّحْبَ..
في ثوبِ الحقيقَهْ
في بيتِنا المبنيِّ من حجرٍ وطينْ
كنَّا ننامُ على الحصيرْ
ونخيطُ من أحلامِنا ثوبَ الحبورْ
ونمدُّ بين قلوبنا أقوى الجسورْ
كنَّا نصوغُ مساءَنا

شوقاً وأنغاماً ونورْ
حتى إذا رفعَ الصَّبَاحُ يَدَ السُّتُورْ
سَعِدَتْ به آذانُنا شَدْواً
تردِّده الطيورْ

صدى:

عينانِ كالنبعينْ ... سبحانَ مَنْ سوَّى !
صار الهوى نوعينْ ... كالصّبر والحلوى
يا لهْفَةَ القلبينْ ... مَن يبدأُ النَّجوى
مِنْ أين لي، من أينْ ... أن أعرفَ الفحوى ؟

صوت:

فَلَّتْ ظفائرَها حليمَهْ
في ثغرِها خَجَلٌ وفي أهدابها آثارُ ديمَهْ
كان الأصيل يهزُّ مَنْكِبَه ويمنحُ شعرَها الذهبيَّ
ألواناً خفيفَهْ
والمُشْطُ ينكُثُ شعرَها ثَمِلاً

ويُسمعُها حفيفَهْ !
والشاعرُ المبهورُ سلَّ يَراعَه
ودعا حروفَهْ
صوتٌ كتغريدِ البلابلِ حين يُسْكِرُها الصّباحْ
وجهٌ يلامسُه الخجلْ
ويُشيعُ في قَسَماتِه لونَ ارتياحْ
وَفَمٌ تداعبُه ابتسامتُه مداعبةً خفيفَهْ

صدى:

يا وردُ حدِّثْني ... عن خَدِّها الأحمَرْ
يا أُفُقُ خبِّرْني ... عن شعْرِها الأشقَرْ
يا سحرُ أسْكِنِّي ... في جَفْنِها الأحْوَرْ
يا صبرُ أَنْجِدْني ... قد هالني المنظَرْ

صوت:

من أينَ أبدأُ يا حليمَهْ؟
أغرقْتُ في عينيكِ أحلامي
وجئتُ أَزُفُّ أسئلتي وصبْري

قد ترفعين اليومَ قدري
قد تحفرين اليومَ قبري !
قلبي شغوفٌ يا «حليمَهْ»
طيري فمثلُك لا يَسيرْ
وخذي من العينين نافذةً
ومن قلبي سريرْ !
أوَما ترينَ الدَّهْرَ يركُضُ
والليالي تستجيرْ؟
هذا هو الليلُ الطويلُ
يشقُّ من أسَفٍ رِدَاءهْ
والفجرُ
ينثُرُ فوقَ قريتِنا ضياءهْ
والشمسُ
تنسجُ ثوبَ طَلْعَتها ورَاءهْ
والبلبلُ الصدّاحُ يُسْمِعُنا غِنَاءَهْ
والبائعُ الجوّالُ يسكُبُ
في مسامعِنا نداءهْ

صدى:

الموزَ يا غـــــادي الموزَ يا رائـــحْ
قـد أقـفـرَ الوادي إلاّ من الصـــائحْ
هل يرتوي الصَّـادي من نَبْـعِـهِ المالحْ
اليـومَ مـيـعـادي فَلْيَـــرْبَحِ الرابحْ

صوت:

كان الصَّباحُ مضرَّجاً
بدماءِ ليلتِنا الطويلةْ
كان الندى يُوحي..
بأنَّ زهورَ وادينا خَجولَةْ
والشمسُ..
ترسمُ في انطلاقتِها لنا وَجْهَ الطفولَةْ
وحديقةٌ..
يأتي إليها الفجْرُ
يَلْثُمُها بثَغْرٍ من ضياءْ
وأناملٌ تمتدُّ راعشةً

هذا هو نوع الموز الذي كان يبيعه

إلى مِزْلاجِ نافذةٍ صغيرهْ
ويلوحُ وجهٌ يَنْثَني لجمالِ طَلْعَتِه الجمالْ !
ويذوبُ نورُ الفجرِ
في عَيْنَيْ حليمَهْ
وَتَهَشُّ أزهارُ الحديقَهْ
والشوقُ..
يستعدي الخيالَ على الحقيقَهْ
وتطيرُ نحو حليمةٍ عصفورتانْ
وفراشةٌ تتنافسُ الألوانُ في تحسينها
وبلابلٌ تشدو فينتعشُ المكانْ
والبائعُ الجوَّالُ يَخْلِطُ بالأغاريدِ النِّداءْ

صدى:

إطلالَةُ الفجرِ في وجهِها الحالِمْ؟
أمْ رَوْعَةُ السِّحرِ في ثغْرِها الباسِمْ؟
أمْ عَبَقُ العِطْرِ أم أنني واهِمْ؟!
أصبَحْتُ لا أدريْ يا قلبيَ الهائِمْ!

صوت:

كانت حليمةُ ترمقُ الدنيا
بعينٍ عاشقَةْ
كانت خُطاها واثقةْ
في مقلتيها لهفةٌ توحي بأحلامِ الصَّبايا
وتهزُّ أفئدةً
وتجعلُ من أحبتِها ضحايا!
كانت تحرِّكُ بابتسامتِها المرايا!
ولَطَالما رسمتْ بفرحتِها حدودَ خيالِها
وتساءلتْ
والشوقُ يَقْطُرُ من حروفِ سؤالِها:
أولستُ زهرةَ هذه الدنيا
وأغنيةَ الربيعْ؟
أَوَلستُ دِفْئاً في عروقِ شتاءِ قريتِنا..
يذوبُ به الصقيعْ ؟!
ويتيهُ في فمِها السؤالْ
ويعانقُ الإنْصَاتُ مِسْمَعَها

فتُصغي
ويلفُّها صَمْتُ التأمُّلِ والحنينْ
والبلبلُ الصدَّاحُ يشدو
والبَهْمُ في الساحاتِ..
تَعدو
والدمعُ يرسمُ في محاجِرِها
ملامحَ حزنِها
وتروحُ حسرتُها وتغدو
ودوائرُ الصمتِ الكبيرةُ في اتِّساعْ
والبحرُ يلعبُ بالشِّراعْ
والسائرونَ يُردِّدون على صَدَى خُطُواتِهم
لحنَ العَمَلْ
أملٌ أمَلُ
والبائعُ الجوَّالُ يحملُ «قُفّتَهْ»
موزٌ وتفَّاحٌ وشارْ

يا ربِّ عَـوْنَكَ مـا لنا في هذه الدنيـا قـرارْ

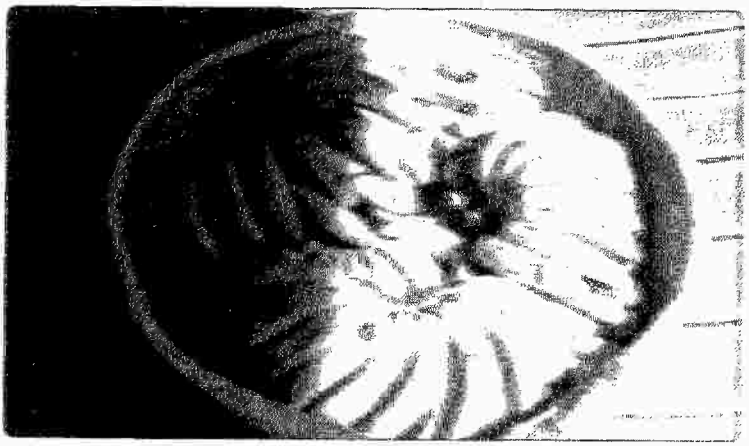

«القُفَّة» المصنوعة من السعف التي يحملها بائع الموز

صدى:

يا حـــــسرَةَ الأوَّلْ ... مما جَنَى الثـــاني
كم فـــارسٍ أعـــزلْ ... أوْدَى بفـــرســـانِ
يا حـــاملَ المِعْـــوَلْ ... قطَّعْتَ أغـــصـــاني
قلْ لي مـــتى ترحَلْ ... عن روضِ وجـــداني؟

صوت:

سكتتْ حليمةُ حين أرسَلَتِ النظرْ
ورأتْ أمامَ الدَّارِ شيخاً
قد رمى الدنيا وراءهْ
وأمامَهُ امرأةٌ ملفَّعةٌ
تُداريها العباءهْ
الشيخُ يَلْبَسُ عمرُهُ ثوبَ المِئَهْ
وعجوزُه وقفتْ على السبعينَ
تنتظرُ الدخولْ
والبدرُ يَخْرِمُه الأفولْ
قد قامَ بينهما وبينَ الناسِ
أكثرُ من جدارْ

وامتدَّ بينهما الحوارْ
أوَّاهُ ما أقسى الهرَمْ!
ألقى بها الشيخُ الكبيرُ
وكاد يخنقُه السُّعالْ
واهتزَّ في فمه المقالْ
وحروفُه جاءتْ ملفَّعةً بِمِلْحَفَةِ اضطرابْ
أوَّاهُ من طولِ العذابْ
للَّه أيامُ الشبابْ..!
أيامَ كنَّا نحرقُ الآلامَ في لَهَبِ العزيمَهْ
أيامَ كنا نرسُمُ الدنيا
على بوَّابةِ الأمَلِ الكبيرْ
ونسيرُ في طُرُقاتِ فرحتِنا
ونوشكُ أن نطيرْ
تمتدُّ أذْرِعَةُ الغصونِ لكي تَظَلِّلَنَا
ويبتسمُ الغديرْ
والشمسُ تُنْشِدُ من أشعَّتِها
خيوطاً من حريرْ
أيامَ كنَّا نأكلُ الخبزَ المجفَّفَ

واللبنْ
أيَّامَ كنَّا لا نرى إلا البلابلَ والفَنَنْ
ونكادُ نختصرُ الزَّمنْ
وتنهّدُ الشيخُ الكبيرْ
وتطلعتْ من حوله الجدرانُ
تُنصتُ في ذهولْ
وتطلَّعتْ لسماع قصتِّه
الحقولْ
ماذا يقولْ؟
والبائعُ الجوَّالُ يرسمُ فوقَ وجهِ الأرضِ من خُطُواتِهِ
صُوَرَ العَناءْ
وتلوحُ في عينيه بارقةُ البكاءْ
فيهزُّ قُفَّتَه ويجهَرُ بالنداءْ:

صدى:

لا تجـــعلي مَـــيْلي ... سِـــــــراً لإرهـاقي
لا تضـــربي حـــولي ... أسـوارَ مـيـثـاقِ
مِن شـــدَّةِ الهَـــوْلِ ... مـــــزَّقْتُ أوراقي
إنْ تفـهـمي قـولي ... أدركتِ أخـــــلاقي

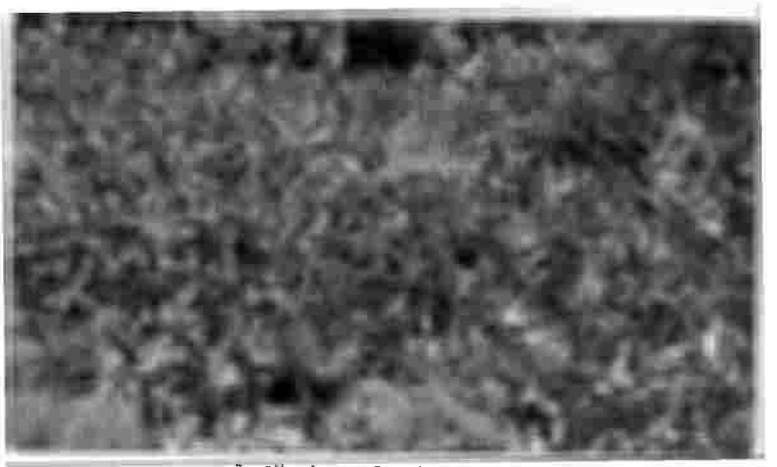

صورة لمزرعة من مزارع القرية

صوت:

وقفتْ حليمةُ وقفةً متوثِّبَهْ
وغدتْ تقولُ، ونفسُها متهيِّبَهْ:
لمَّا رأيتُ الشيخَ يُطنِبُ في المَقالْ
أصغيتُ في شوقٍ
وأغفلتُ السؤالْ
فمضى يقولْ:
أنا في السفينةِ
لا أرى وجهَ السفينهْ
الموجُ يُقلقني، ولونُ الأفْقِ
يمنحني السكينَهْ
كانت هناكَ على ذراعِ الشاطئ الغربيِّ
أَبْنَيَـــةٌ
يُقالُ لها «مدينَهْ»
الغيثُ يعشقُها فيسقيها المطَرْ
والبرقُ يختلسُ النظَرْ
والرَّعْدُ يَروي عن صَبابتِها

الخَبَرْ

والليلُ يَلْقى لونَه في هُدْبِ عينيها

ولونُ الهُدْبِ أحلكْ

والفجرُ يُبصرُ نفسَه في وجهها

فيظلُّ يضْحَكْ

والوردُ يُبْهَتُ حين يلمحُ خدَّها

فيكادُ يَهْلَكْ !

الرّملُ يرقُص تحتَ رجليها

ويلهو

والبدرُ يسترخي على آفاقِها النّشْوَى

ويزهو

ويصيرُ طعمُ المِلْحِ تحتَ لسانِها

عسلاً مُصَفَّى !

قالتْ حليمةُ:

ثم إنّ الشيخَ خلَّلَ لحيتَهْ

ورمى إلى الساعينَ في طُرُقِ المَعيشةِ

نظرتَهْ

وغدا يقولُ، وقد تمكَّنَ أنْ يُواريَ دمعتَهْ:
للَّهِ أمرُ الناسِ لا يتورَّعونْ
يمضونَ في طَلَبِ الحياةِ
ويلهثونْ
ولأجلِ هذا العيشِ
كم يتدابرونْ !
كم يقتلونَ وينهبونْ !
كم يجرحونَ من القلوبِ
وما يَعُونْ !
هذا جنونٌ لو وَعوا معنى الجنونْ
وتسمَّرَ الشيخُ الكبيرُ
على جدارِ الذكرياتْ
والبائعُ الجوّالُ يختصرُ المسافَهْ

صدى:

يـا نـازلَ الـوادي ... وادي حِمَى ظَبْـيـانْ
تاريخُ مـيـلادي ... في اللَّوزِ والرمَّـانْ
في شِلْخَـةِ الكادي ... في الشِّيحِ والرَّيْحانْ
يـا نـازلَ الـوادي ... لا تبْـعَثِ الأحـزانْ

شجرة لوز في الوادي

صوت:

قالتْ حليمةُ:

فامتطيتُ عزيمتي

وذهبتُ أعدو

وقوافلُ الظلماءِ قادمةٌ

وصوتُ الرِّيحِ يحدو

كانتْ أكفُّ الليلِ

تنشرُ فوقَ شاطئنا شراعَهْ

والشمسُ ترسُم للنَّهارِ

بلونِ صُفْرتِها وداعَهْ

أبصرتُ قنديلينِ في كوخٍ

تحاصرُه الرِّمالْ

وهَمَمْتُ أن ألقي السؤالْ

لكنّني أحسستُ أنَّ الخوفَ

أصبحَ كاللِّجامْ

أوَ هكذا..

يتجمَّدُ الإحساسُ

يستعصي الكَلامْ ؟!
وسمعتُ أغنيةً على ثغرِ الأصيلِ
منغَّمَهْ
وسمعتُ هَمْساً داخلَ الكوخِ الصغيرِ
وتَمْتَمَهْ
أدنيتُ جلبابي
وألبَسْتُ الخُطا ثوبَ الحَذَرْ
ودَنوتُ..
أغرِسُ في نواحي الكوخِ عَيْنَيْ
ماذا رأيتْ ؟
أبصرتُ شيئاً كالخيالْ
طفلاً يَمُصُّ أصابعَهْ
ووسادةً سوداءَ في إحدى الزوايا
قابعَهْ
وعلى يمينِ الطفلِ «رَكْوَهْ»
وأمامَ عينِ الطفلِ «فَجْوَهْ»
والطفلُ يُوْغِلُ في البكاءْ

« أُمِّي » !

إذا ما قالها..

أحسَسْتُ أنّ الحُزْنَ يَلْفَحُني..

وأنَّ الأرضَ تخرجُ

من مساراتِ الفَضَاءْ

« أمّي » !

وكدتُ أذوبُ في وَهَجِ النِّداءْ

ودنوتُ منه على حَذَرْ

وسمعتُ زَمْزَمَةً وراءَ الكوخِ

تنطقُ بالخَطَرْ

ورأيتُ إعصاراً يثورْ

ورأيتُ دولاباً يدورْ

وسمعتُ صوتاً كالهَزيمْ

«الطفلُ طار إلى السماءْ»

«الطفلُ طارَ إلى السماءْ»

ورجعتُ باكيةً أسيرُ إلى الوراءْ

والبائعُ الجوَّالُ يحملُني بأجنحةِ الحُدَاءْ

الشمس تغوص في أحضان المغيب من وراء الجبال

صدى:

يا راحـــــلاً عنَّا ... لا تَنْس ذكـــــرانا
لا تبـــتـــعـــدْ عنَّا ... فـالبـعـدُ أضنانا
جـــاوزتَ مـــا كنَّا ... نرجـو، ومـا كـانا
رفـــقـــاً بنا، إنَّا ... ضِـــقْنا بشكوانا

صوت:

كان الصباحُ يجرُّ في الواحاتِ
ثوباً من ضياءْ
والشمسُ وافرةُ الحياءْ
وأكُفُّ قريتِنا
تصفِّقُ للصباحْ
هذا الغدوُّ، وبعدَ ساعاتٍ
سينتفضُ الرَّواحْ
زَمَنٌ يدورْ
سَعَةُ القصورِ تسوقُنا
سَوْقاً إلى ضيقِ القبورْ

هذا الصَّباحُ
يكاد يهزمُه الضُّحَى
ويَدُ الضُّحى ترمي الزِّمامَ
إلى الظهيرهْ
وفمُ الظهيرةِ يستجيرُ من الأصيلْ
والليلُ يكْملُ ما يردِّدُه النَّهارُ
من الصَّهيلْ
زَمَنٌ
بنى أحلامَه النَّشْوى
على جسرِ الرحيلْ
هذا الصباحُ
رأى انبلاجَ النافذَهْ
ورأى حليمةَ تُرسلُ العينين في الأُفُقِ البعيدْ
أهدابُها لغةٌ لها نَغمٌ جديدْ
فرمى إليها خُصلَةً
من ضَوْئه الصَّافي وصاحْ:
هذا الصَّباحُ يلوُح لي..

وإذَنْ فلستُ أنا الصباحْ
كانت حليمةُ حينَها مكسورةَ الجَفنينِ
من طولِ السَّهَرْ
في قلبِها ألَمٌ
وفي وَجَنَاتِها التَهَبَ الضَّجَرْ
كانت حليمةُ ترقُبُ الوادي القريبْ
عصفورة تشدو
فَيُنْعِشُها النَّغَمْ
راعٍ يصيح على الغَنَمْ
وصياحُ ساقيةٍ
يخالطُه ألَمْ
و«الغَرْبُ» يسكُبُ ماءَه
في ساحةِ «القُفِّ» الكبيرْ
والماءُ في الفُلْجَانِ يجري
وأبو حليمةَ يغرِسُ المِحراثَ في قلبِ التُّرابْ
ويلامسُ المِحْراثُ أشواقَ الترابِ..
إلى السَّحابْ !

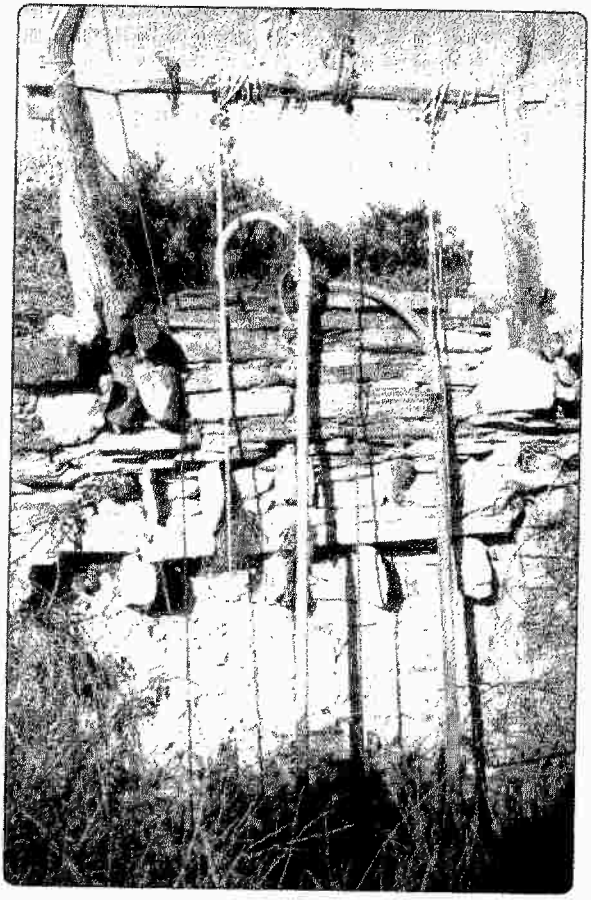

البئر التي تشتغل عليها السَّانية لنزح الماء

وفمُ السحابِ يكادُ ينطُق بالحيا

قالت حليمةُ:

كِدْتُ من فَرحٍ أطيرْ

لما رأيتُ الغيمَ هزَّ عباءتَهْ

وسمعتُ صوتَ الرَّعدِ

يُكْمِلُ للسَّحاب قراءَتَهْ

وشممْتُ رائحةَ المطرْ

وسمعت عِشْقَ الأرضِ

يعزُفه الشجَرْ

ورأيتُ قريَتَنَا تلمُّ ثيابَهَا

وتُثيرُ في وجهِ الذُّبولِ شبابَها

ورأيتُ أوديةً تسيلْ

ورأيت لونَ البِشْر يغمرُ

وجهَ قريتِنا الجميلْ

وتجاوبَتْ أصداءُ أصواتِ الرُّعاهْ

هيَّا اجمعوا أغنامكم تَحت الشجرْ

كي نستكِنَّ من المطرْ

صورة الغنم ترعى من العشب

هذا لقاءُ العِشْقِ
بين ربوعِ قريتِنا
وبين السابحاتْ
خذ يا طَهُورَ القَلْبِ ما تبغي
وهاتْ..
وتكادُ قريتُنا تطيرُ من الفرحْ
والبائعُ الجوَّالُ يُنْشِدُ في مَرَحْ

صدى:

الموزَ يا شـــــاري مِنْ مَوْزِ «ذي عَيْنِ»
من نِعمةِ الباري خَمْسٌ بقِرْشَيْنِ
الموزَ يا شـــــاري لا بَيْعَ بالدَّيْنِ

صوت:

قالت حليمةُ ـ والدّموعُ تُذيعُ أسرارَ الفؤادْ ـ:
ما زلتُ أنظرُ من وراءِ النافذهْ
والبائعُ الجوَّالُ يسكُبُ صوتَه في مِسْمَعي
وأنا أغالبُ أَدْمُعي

«قرية ذي عين» مشهورة بزراعة الموز

وأكادُ من عُمقِ التأثُّرِ
لا أعي
يا ليتَ هذا الأُفْقَ يجعلُني خيالاً
في مَدَاه
أو غَيْمَةً تُهْدي إلى الأرضِ الحيَاهْ
أو بلبلاً..
يشدو له شَدْواً
يُحقِّقُ مبتغاهْ
أو زهرةً تُهدي شذاها
كي يبادلَها شذاهْ
ياليتَ هذى الأرض تُنْبِتُني
زهـورا
ياليت هذا النّبْعَ يَعْزِفُني
خريرا
يا ليتَ هذا اللَّوزَ يُطْلِعُني
ثَمَرْ
ويطيرُ بي هذا النسيمُ العَذْبُ

عِطْراً للبشَرْ

ياليتني..

لو أنَّ «ليتَ» تفرُّ من معنى التَمَنِّي

وتسيرُ في دربِ الحقيقةِ

كي تزيلَ الهَمَّ عنِّي

صدى:

يارحلةَ الحاضِرْ غَيَّرْتِ ماضينا

والمركبُ السائِرْ مازال يُقصينا

والبلبلُ الطائِرْ مازال يُشجينا

والبَدْرُ يا ساهِرْ يُثري لياليْنا

صوت:

قالت حليمةُ - وهي ترنو للبعيدْ - :

هذا هو التلفازُ

يعرِضُ قصَّتينْ

إحداهما بدويّةٌ

تروي حكايةَ عاشقينْ

بدويَّةٌ مملوحةٌ
مدَّتْ لعاشقِها اليدَيْنْ
والقصةُ الأخرى عجيبَهْ
حملتْ مقاطعُها حكاياتٍ غريبَهْ
خبرٌ قديمٌ عن فتىً
يهوى فتاهْ
هَجَرَ العشيرةَ كلَّها ـ من أجلها ـ
وجفا أباهُ
وفتاتُه تسعى إليهْ
وَضَعَتْ يديها في يَديهْ
تهتزُّ ـ حين تراه ـ
من طَرَبٍ
وتبكي ـ حينما يمضي ـ عليهْ
ولربَّما اقتربتْ
لتحرقَ مقلتاها مقلتَيْهْ
مازلتُ أذكرُ..
كيف داهمني الحياءُ

وكدتُ أغرق في ثيابي
وفقدتُ من خَجَلٍ
صوابي..
وأبي..
يتابعُ قصّةَ العشقِ المريبَةَ في قَلَقْ
يخشى على العشَّاقِ - في التلفاز -
من جَوْرِ الأَرَقْ
وإذا رآني صاحَ بي
لا تنظري !
لا تقربي !
إني أكادُ أُجَنُّ من هذا التناقضِ يا أبي
أمي تُريني كلَّ يومٍ
وجهَ خائفةٍ حزينهْ
أصبحتُ أشعرُ..
أنني في دارِنا..
امرأةٌ رهينَهْ
وأبي يسارقُني النَّظَرْ

من قَبْلِ عامٍ
كنتُ أمشُطُ لحيتَهْ
وأرى وأسمعُ ضِحْكَتَهْ
واليومَ..
صار يهزُّ عندي مَنْكِبَ الرَّجُلِ الغريبْ
وإذا سألتُ :
يُجيبُني حيناً
وحيناً لايُجيبْ
ماذا جرى ؟؟
وجهي الجميلُ وبسمتي
و «الحَوكةُ» البيضاءُ
ترسمُ قامتي
هذي ذنوبي ؟؟
ليس ذنباً أنْ يبضَّ الناهدانْ
الذنبُ أنْ ترنو إلى ما حرَّم الرحمنُ
منِّي مُقْلتانْ !
مهلاً أبي..

فأنا بُنَيَّتُكَ الصغيرهْ
وأنا بنيتُك الكبيرهْ
وأنا التي لا أصرفُ الأحلامَ
عن شَرَفِ العشيرهْ
كنْ لي صديقاً يا أبي الغالي
لتفهمَ ما أقولْ
ليْ بَعْضُ أحلامٍ
وقلبٌ خافقٌ وفمٌ خجولْ !
وَمَضَتْ بنا الأيَّامُ تَتْرَى
شَطْرٌ مضى من عمْرِ أحلامي
فهلْ سأنالُ شَطْرا ؟
ماتَ التساؤلُ في فمي
وسكَتُّ قَسْرا
ومضى أبي
والشمسُ تخرجُ من مدارِ زَوالها
وتميلُ نحو المغربِ
وبقيتُ أغزِلُ وحدتي

أبكي وتندبُ غرفتي
والبائعُ الجوَّالُ يسكبُ صوتَه في مِسْمَعي
وأنا أغالب أدمُعِي
يا ليتَ مَنْ حولي يَعي !

صدى:

يا شـــــاريَ الموزِ ... يا شـــاريَ التـــفَّـــاحْ
الحُلْوُ لا يخـــــفى ... عن طرفِكَ اللمَّـــاحْ
والعينُ لا تغـــفـــو ... والـقـلـبُ لا يـرتـاحْ
إلا لمـــن غـــنَّـــى ... لحني، ومـــثلي باحْ

صوت:

قالت حليمةُ:
كِدْتُ أقفزُ من مكاني
وأطيرُ مِن شوقٍ
بأجنحةِ الأماني
ما أصدقَ الصوتَ الحزينَ وأجملَهْ !
هذا صدى ألَمي وحزني

يا بائعَ الموزِ المعطَّرِ بالعَرَقْ
بيني وبينَك مثلُ ما
بين السلامةِ والغَرَقْ
بيني وبينك بابُ نافذةٍ
ومصراعٌ كبيرْ
وعيونُ أمّ حولَ نافذتي تدورْ
وهزيمُ «نَحْنَحَةٍ»
يجودُ بها أبي عند الحُضُورْ
لا، والذي أعطاك مِنْ عَرَقِ الجبينْ
مالاً حلالاً لا يَشينْ
لا، والذي أعطاكَ صوتاً
يبعثُ الشوقَ الدَّفينْ
ما حدَّثَتْني النفسُ إلا بالصَّوابْ
شوقي يُزَعْزِعُني
ويحفظُني التورُّعُ والحِجَابْ
خوفي من الرحمنِ أكبرُ مِنْ جنونِ المغرياتْ
لكنني أخشى الظنونَ

وما يثيرُ الشائعاتْ
قالوا: بأنَّ لِبَيْتِنا شرفاً قديمْ
وبأنَّ مثلي..
لا تَزُفُّ سوى إلى رجلٍ عَظِيمْ
أهلاً وسهلاً بالذي قالوا
ولكنْ..
أينَ لقمانُ الحكيمْ ؟
يا بائعَ الموزِ المعطَّرِ بالأنينْ
هذا السحابُ يُريحُ صَدْرَ الأرضِ
مِنْ طُولِ الحَنينْ
هذي انبثاقاتُ الصَّباحِ
تُضيءُ دربَ التائهينْ
حدِّثْ جنونَ العاشقينْ
أنّ الحياةَ تموتُ عند الخائنينْ
يا بائعَ الموزِ المعطَّرِ بالفرحْ
يا بلبلاً..
يُصغي الفؤادُ إذا صَدَحْ
مازلتَ تغسِلُ بالخُطا

دَنَسَ الدُّروبْ
فمتى تَؤوبْ؟
فأجابني والقلبُ مِنْ شَغَفٍ يَذُوبْ:

صدى:

يا من تُسائلني ... والقلبُ مشغولُ
كم في الرُّبا ظَبْيٌ ... في صدره غُولُ
نفسي تراودُني ... والصبرُ مقتولُ
لا تحملي همّاً ... فاللّهُ مأمولُ

صوت:

قالت حليمةُ:
وامتطى الزمنُ المسافرُ بغلتَهْ
ومضى لُيكْمِلَ رحلتَهْ
ومضى أبي الغالي على دربِ الخلودْ
عادتْ جميعُ مراكبِ الأحزانِ
والأبُ لا يعودْ
أمسيتُ ذاتَ أبٍ

وأصبحتُ اليتيمَهْ !
وغدوتُ أستجدي العزيمَهْ
يا قريتي..
هذي الوجوهُ الباسمَهْ
هذي العيونُ الحالمَهْ
هذي الجبالُ الشُّمُّ
والواحاتُ باسمةَ الزهورْ
هذا الثرى العطريُّ
هاتيكَ الصُّخُورْ
هذي السواني
تنزَحُ الماءَ المعتَّقَ بالأمَلْ
في صوتِها نَغَمٌ
وفي حركاتِها معنى العمَلْ
يا قريتي..
كلُّ المعالم فيكِ تجذُبني إليكْ
وتزيدُني خوفاً عليكْ
في مقلتيكِ يلوحُ نورُ الذكرياتِ الماضيَهْ

تل صخري في القرية

في وجهك الميمونِ نَهْرٌ مِنْ سعادتِنا
وعينٌ جاريَهْ
في كلِّ شبرٍ منكِ..
أحلامٌ وذكرى غاليهْ
يا قريتي..
لا تقطعي حبلَ الودادِ..
ولا تَفرِّي من مآثرِنا الجميلهْ
كوني، برغمِ مظاهرِ الزّيفِ
الخميلهْ
كوني شفاءَ القلبِ مِنْ سَقَمٍ
وَبَلْسَمَ رُوحِ أحلامي العليلهْ
قالتْ حليمةُ:
واتّكأتُ على الوسادهْ
وغدوتُ فاقدةَ الإرادَهْ
ورأيتُ أنَّ اللّيلَ يُلْبسُني سوادَهْ
وأنا أُعلِّقُ مِنْ كواكبه قلادَهْ
وسمعتُ صوتَ البائعِ الجوَّالِ، يشدو

صدى:

إيمانُنا أكـــبـــرْ مِنْ كلِّ إلحـــــادِ
وشـــراعُنا أبْحَـــرْ في خـيـرِ مـيـعـادِ
في حـقلِنا الأخـضـرْ تاريخُ أمـــجـــادِ
هـذا هـو الـكـوثَـرْ فليـفـرحِ الصَّـادي

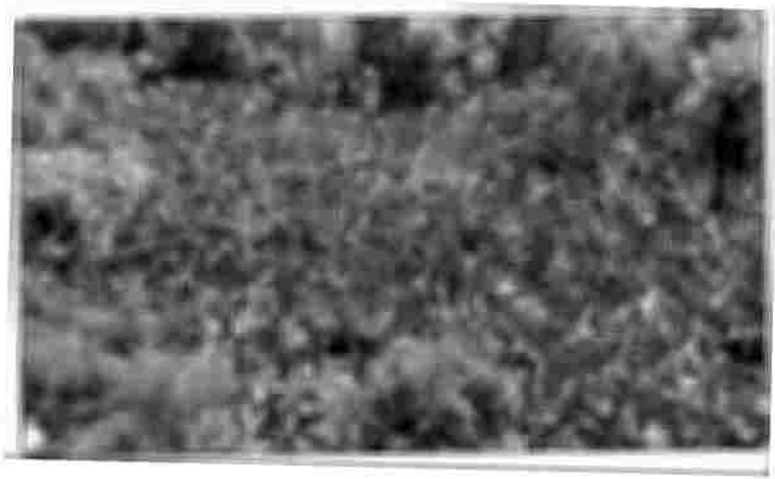

حقل أخضر تغطيه أشجار الموز

Printing & Photocopying